لكان كافيا في الشهادة والجواب عن الاول انه لا يبعد ان حكم الجملة قد يخالف حكم الاجزاء وهذه بعينها شبهة
من نفى قطعية الاجماع والخبر المتواتر ولو صح ما ذكرنا لكان كل احاد العرب قادرا على الاتيان بمثل قصيدة
فصاحتهم كامرئ القيس واضرابه واللازم قطعي البطلان وعن الثاني بعد صحة الرواية وكون الجمع بعد
النبي لا في زمانه وكون كل سورة مستقلة بالاعجاز ان ذلك كان للاحتياط والاحتراز عن ادنى تغيير
لا يخل بالاعجاز وان اعجاز كل سورة ليس مما يظهر لكل احد بحيث لا يبقى له تردد اصلا وقيل
اعجازه بنظمه الغريب المخالف لما عليه كلام العرب في الخطب والرسائل والاشعار
وقيل لسلامته عن الاختلاف وقيل باشتماله على دقائق العلوم وحقائق الحكم والمصالح وقيل باخباره
عن المغيبات ورد بان حماقات مسيلمة ومن يجري مجراه ايضا على ذلك النظم وبانه كثيرا
ما يسلم كلام البلغاء عن الاختلافات والتناقض ويشتمل كلام الحكماء على العلوم والاخبار
عن المغيبات التي لا توجد في قليل من الايات فان قيل لا يظهر فرق بين كونه ويشتمل الاعجاز
بنظمه الخاص وكونه ببلاغة المنظوم ليجعلا مذهبين متقابلين ويجعل كون الاعجاز بالامرين جميعا
مذهبا ثالثا ينسب الى القاضي على ما قال امام الحرمين ان وجه الاعجاز عندنا اجتماع الجزالة
مع الاسلوب والنظم المخالف لاساليب كلام العرب من غير استقلال لاحدهما
اذ ربما يدعى ان بعض الخطب والاشعار من كلام اعاظم البلغاء لا ينحط عن جزالة القران
انحطاطا بينا قطعي للاوهام وربما يقدر نظم ركيك ايضا على نظم القران على ما روي من
ترهات مسيلمة الكذاب الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب رسيل وخرطوم طويل
فلزم كون الاعجاز بالنظم البديع مع الجزالة اعني البلاغة وهو التعبير عن معنى سديد بنظم شريف
وان ينبني عن المقصود من غير مزيد ثم قال وفي القران سوى النظم والبلاغة وجهان اخران
من الاعجاز هما الاخبار عن قصص الاولين من غير سماع وتلقين والاخبار عن المغيبات
المستقبلة متكررة متوالية قلنا معنى الاول ان نظم القران وتركيبه يخالف المعتاد من
اساليب كلام العرب اذ لم يعهد فيه كون المقاطع على مثل يعلمون ويفعلون والمطالع
على مثل يا ايها الناس ويا ايها المزمل والحاقة ما الحاقة وعم يتساءلون وامثال ذلك
ومعنى الثاني ان نظمه بالغ في الفصاحة والمطابقة لمقتضى الحال الحد الخارج عن طوق
البشر وكان حقيق النظم على الاول ترتب الكلمات وضم بعضها الى البعض وعلى الثاني
جعلها مترتبة المعاني متناسقة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل على ما قال عبد القاهر
ان النظم هو توخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام
ولهذا زيادة بيان في كتبنا في فن البيان وقد يستدل على بطلان الفرقة بوجوه الاول
ان فصحاء العرب انما كانوا يتعجبون من حسن نظمه وبلاغته وسلاسته في جزالته
ويرقصون رؤسهم عند سماع قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك الاية لذلك لا لعدم تاتي

تاتي المعارضة مع سهولتها في نفسها الثاني انه لو قصد الاعجاز بالصرفة لكان الانسب ترك
الاعتناء ببلاغته وعلو طبقته لانه كلما كان انزل في البلاغة وادخل في الركاكة كان عدم
تيسر المعارضة ابلغ في خرق العادة الثالث قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فان ذكر الاجتماع
والاستظهار بالغير في مقام التحدي انما يحسن فيما لا يكون مقدورا للبعض ويتوهم كونه
مقدورا للكل فليقصد بنفي ذلك فان قيل لو كان القصد الى الاعجاز بالبلاغة لكان
ينبغي ان يؤتى في اعلى الطبقات لكونه ابلغ في خرق العادة والمذهب ان الله تعالى قادر على ان ياتي
وابلغ وان بعض الايات في باب البلاغة اعلى وارفع كقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك الاية بالنسبة
الى سورة الكافرين مثلا قلنا هذا اوفى بالغرض وارفع للعقد بمنزلة صانع ميز من مصنوعاته ما ليس
غايته معذورة ونهايته ميسورة ثم يدعو جماهير الحذاق في الصناعة الى ان ياتوا بما يوازي ادنى او دون
ما القاه واهون ما ابداه واما المقام الثالث فلان العرب مع كمال حذاقتهم في اسرار الكلام
وفرط عداوتهم للاسلام لم يجدوا فيه للطعن مجالا ولم يوردوا في القدح مقالا ونسبوه الى السحر على ما هو داب
المحجوج المبهوت تعجبا من فصاحته وحسن نظمه وبلاغته واعترفوا بانه ليس من جنس خطب الخطباء
وشعر الشعراء وان له حلاوة وعليه طلاوة وان اسفله مغدقة واعاليه مثمرة فاثروا المقارعة على المعارضة
والمقاتلة على المقاولة وابى الله الا ان يتم نوره على كره المشركين ورغم المعاندين وحين انتهى الامر الى
من بعدهم من اعداء الدين وفرق الملحدين اخترعوا مطاعن ليست الا ضحكة الساخرين وضحكة للناظرين
منها ان فيه كلمات غير عربية كالاستبرق والسجيل والقسطاس والمقاليد فكيف انه عربي
مبين ورد بان ذلك من توافق اللغتين او المراد انه عربي النظم والتركيب او الكل عربي على سبيل
التغليب ومنها ان فيه خطاء من جهة الاعراب مثل ان هذان لساحران والذين امنوا والذين
هادوا والصابئون ولكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك والمقيمين الصلاة ورد بان كل ذلك صواب على ما بين في علم الاعراب ومنها
ان فيه ما يكذبه حيث اخبر انه لا تيسر للبشر بل الانس والجن الاتيان بمثل صورة منه واقل
السور ثلاث ايات ثم حكى عن موسى مع اعترافه بان هرون افصح منه مقدار احدى عشرة
اية منه وهي قوله رب اشرح لي صدري ويسر لي امري الى قوله انك كنت بنا بصيرا ورد بان
المحكي لا يلزم ان يكون بهذا النظم بعينه على ان المختار عند البعض في التحدي به سورة من الطوال
او عشر من الاوساط ومنها ان فيه متشابهات يتمسك بها اهل الغواية كالمشبهة بمثل
الرحمن على العرش استوى ورد بانها لنيل المثوبة بالنظر والاجتهاد في طلب المراد والفوائد التخصص
بالرجوع الى الراسخين في العلم ومنها ان فيه عيب التكرار كاعادة قصة فرعون في عدة
مواضع وكاعادة فباي الاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في سورة الرحمن والمرسلات

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)